

من صفات المجاهدين



الشيخ أحمد وهبي

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69) لذلك سنعمل في هذا البحث على أن نذكر الصفات التي ذُكرت جملة منها في القرآن الكريم والروايات الشريفة في خصوص المجاهدين في سبيل الله عز وجل.

* أخلاق المجاهدين

من الآيات التي تبين أخلاق المجاهدين بشمولية وجامعية، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَخُنَّةٌ جَنَّةٌ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

وَالْقُرْآنَ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ۚ بِيَدَيْكُمُْ السَّذِي
بَيَّعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ
الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (التوبة: 111-112).

1- التوبة: أولى الصفات التي ذكرتها الآية الشريفة هي التوبة، ومعناها العود إلى الله عز وجل،
فالمجاهد عند لقائه العدو يعلم أنه يواجه الموت؛ ويكون قد عاد بقلبه إلى الله وتوجهه إلى عالم
الآخرة، نادماً على ذنوبه وتقصيره في أدائه لأوامر الله سبحانه.

2- النيّة الخالصة: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أغزى عليّاً عليه السلام في
سريّة، قال رجل لأخيه له: "اغزى بنا في سريّة عليّ لعلنا نصيب خادماً أو
دابّةً أو شيئاً نتبلاّغ به"، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إنّما الأعمال
بالنيّات" (1).

3- التوجّه للآخرة والزهد في الدنيا: لا شك في أن المجاهد والمقاتل في سبيل الله عز وجل يكون
تاركاً للدنيا ومختاراً لسعادة الآخرة على سعادة الدنيا، لذلك طلب الله سبحانه الجهاد ممن باع
دنياه بآخريته، قال عز وجل: ﴿فَلَا يُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ
فَسَوْفَ نُؤْتِيَهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 74).

4- اليقين ووضوح الرؤية: الطريق أمام المجاهد واضح، وكل ما كان في سبيل الله جميل، وكل ما يأتي من
الله جميل ولو كان القتل، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا
مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۗ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا
إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: 22).

5- الحب: عن الإمام الصادق عليه السلام: "بإنفاق المهج يصل العبد إلى برّ حبيبه وقربه" (2). وفي دعاء شهر رمضان يعلم أنّ عباده أن يتمنّوا القتل في سبيله: "وقتلًا في سبيلك فوفّق لنا...". فلا يكون هناك شيء عند المجاهد أحبّ إليه من أنّ ورسوله والجهاد في سبيله.

6- العبادة والعبودية: من أهمّ علامات المجاهد أنّه يملأ وقته بالعبادة والذكر استعداداً للقاء عزّ وجلّ، وتظهر عليه سيماء العابدين الذين كساهم أنّ من نوره بسبب عبادتهم في الليل وسهرهم في العبادة. وهؤلاء يتوءّد أنّ بهم الكفّار ويغيظهم بهم، ترّاهم رُكّعا سجّداً يبتدغون فضلاً من الله ورضوا أنّا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلاًهم في التّوّارة ومثلاًهم في الإنجيل كزرعٍ أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستتوى على سؤقه يُعجب الزّرع ليدغيط بهم الكفّار (الفتح: 29).

7- الطاعة للوليّ الشرعيّ والقائد: إنّ طاعة الوليّ الشرعيّ، وليّ الأمر، المرجع والوليّ الفقيه هي من طاعة أولياء أنّ الواجبة طاعتهم، بل هي من أهمّ أسس النصر للمجاهدين في سبيل أنّ والهزيمة للعدو، وتعطي الفئة المجاهدة في سبيل أنّ، حتّى ولو كانت أقلّ عدداً من عدوها، قوّة على العدو، لأنها هي المدافعة عن دين أنّ، ووعدّها بالنصر. وقد ضرب أنّ سبحانه مثلاً لهذا الأمر في القرآن الكريم في قصة طالوت الذي عينه نبيّ الزمان قائداً: "فَلَمَّا سَا مَلَّ طَالُوتُ بِالنَّجْدِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا لَئِيْلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّقِيبُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ مَّالَاقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (البقرة: 249).

8- الدعاء والذكر: يقول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقَيْتُمْ فِرْعَانَ فَاتَّخِذُواْ وَآذِكُرُّواْ اللّٰهَ كَثِيْرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (الأنفال: 45). المجاهد في جهاده وقتاله يحتاج إلى القوة الإلهية لنصره، لذلك هو في حالة ذكر دائم ودعاء واستعانة بالله سبحانه. فمن يستعد للقاء محبوبه في ساحة القتال والجهاد ويعلم أن كل قوة في الكون هي الله، فهذا فيه معنى الإقرار بالله عز وجل بالقدرة المطلقة وبأن النصر من عنده. لذلك روي عن الإمام علي عليه السلام: "إذا لقيتم عدوكم في الحرب فأقلوا الكلام وأكثروا ذكر الله عز وجل" (3).

9 - التسليم لله تعالى والتوكل عليه: قال تعالى: الَّذِينَ قَالُوا لَهْمُ النَّاسِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَمْسَسُهُمْ سُوءًا وَيَتَّسِعُهَا رِضْوَانًا اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (آل عمران: 173 - 174)، فإن عزم المجاهد على القتال فلا بد أن يتوكل على الله، ويكل أمره إليه.

10- السياحة: قال تعالى: السَّائِرُونَ، أشهر السياحة أربعة أشهر وهي الأشهر الحرم ثم يقتل المشركون بعدها أينما وجدوا. والسياحة في الأرض تكون للاطلاع على عجائب قدرة الله وهداية عباد الله والفرار من أعدائه وملافة أوليائه (4).

11- حفظ حدود الله: قال تعالى: وَاللَّحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ، المجاهد يجتنب المحارم ويؤدّي الواجبات الإلهية تعبيراً عن حبه لله، وطاعة للمحبوب فيما يحب، وإلا فلا يكون مجاهداً؛ لأنّ الجهاد كما عن أمير المؤمنين عليه السلام: "يقول الرجل هاجرت ولم يهاجر إنَّما المهاجرون الذين يهجرون السيئات ولم يأثوا بها، ويقول الرجل جاهدت ولم يجاهد، إنَّما الجهاد اجتناب المحارم ومجاهدة العدو..." (5).

12- التقوى: عن أمير المؤمنين عليه السلام: "الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى" (6). فالجهاد هو لباس المتقين والتقوى لباس المجاهدين.

13- النظم والانضباط: إن الله يحب المتكفين (الصف: 4). هذا الأمر يجب أن يكون نابعاً من الإيمان بالله والالتزام بأوامره سبحانه، وبهذا المعنى يكون من لوازم التقوى.

14- الصبر: النصر من نتائج الصبر، مهما كان عدد المجاهدين في سبيل الله قليلاً. عن الإمام الحسن عليه السلام: أنه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أمّا بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسمّاه كرهاً ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين واصبروا إن الله مع الصابرين فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون..." (7).

15- المحافظة على أموال الناس وأرواحهم وأعراضهم: والرحمة بين أفراد مجتمع المسلمين:

كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليّ عليه السلام دائماً يوصيان بحفظ أموال الناس وحقوقهم وأعراضهم، فعن أبي حمزة الثمالي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله، لا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها..." (8).

16- الثبات في المعركة: المجاهد في سبيل الله سبحانه لا يولي ظهره لعدوه ويهرب، ولا يترك إخوانه في المعركة مكشوفين للعدو، بل يواسيهم بنفسه ويصبر معهم، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَزَحَفُوا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوَدُّ أَنْ يَفْسُدَ دِينَهُمْ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (الأنفال: 15-16).

(1) الأمالي، الطوسي، ص618.

(2) جامع الأحاديث، البروجردي، ج13، ص16.

(3) عيون الحكم والمواعظ، ج1، ص120.

(4) بحار الأنوار، المجلسي، ج70، ص245.

(5) مستدرک سفينة البحار، الشاهرودي، الباب 440، ص1.

(6) نهج البلاغة، خطبة الجهاد.

(7) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، ج7، ص10.

(8) الكافي، الكليني، ج5، ص27.

المصدر: مجلة بقية الله